

النظرية البيروقراطية

ماكس فيبر

تقديم

إن استخدام مصطلح البيروقراطية لم يكن وليد الحضارة الغربية الحديثة، وإنما ممارسته اقترنت بالنظم الحاكمة في الحضارات القديمة؛ في شيوع استخدامه تجاوز القرنين من الزمن حسب الوثائق التاريخية التي أثبتت استعماله من قبل الفيلسوف الفرنسي "البارون دي جريم" عام 1864 ليصف به النظام الحكومي الفرنسي، أُدخل إلى قاموس الأكاديمية الفرنسية لتعني به القوة أو النفوذ الذي يتمتع به القادة ورؤساء الحكومات و الهيئات التقليدية في الدولة.

وبعدها جاءت مساهمات العديد من علماء السياسة والاجتماع بهدف الإثراء كل ورؤيته وبالضبط في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ أمثال ماركس وموسكا؛ روبرت ميشلز وماكس فيبر

أولاً: مفهوم البيروقراطية:

إن مفهوم البيروقراطية يستدل عليه بمعنيين:

أ - المعنى اللفظي: هو كلمة مركبة من شقين:

الأول: bureau وتعني المكتب والثاني cracy وهي مشتقة من الكلمة الاغريقية katia وتعني القوة والكلمة في مجموعها تعني قوة أو سلطة المكتب.

ب - المعنى الاصطلاحي: إن التعريف الاصطلاحي ليس ثابت وإنما يرتبط بالرؤية الزمكانية لصاحبه ومن هاته التعاريف نذكر:

تعريف موسكا: عرفها عام 1895 في كتابه عالم السياسة بأنها: "نظام معقد يضم عدد من الموظفين الحكوميين".

وعرفها ميشلز عام 1911 في كتابه الأحزاب السياسية بأنها: "التنظيم الأولي جاري الذي يضم أقلية تحكم وأغلبية تخضع".

أما فيبر فلم يعرفها البيروقراطية بكلمات؛ وإنما تحدث عن الخصائص التي تميز المنظمة البيروقراطية ومنها يتضح أنه يطلقها على:

المنظمة الواسعة والكبيرة التي تعتمد في إدارتها على السلطة القانونية ذات الطابع العقلي الرشيد في إصدار الأوامر؛ وعدّها النموذج المثالي للتنظيم.

وانطلاقاً مما سبق فالبيروقراطية تعني: "ذلك التنظيم الإداري الضخم الذي يتسم بتقسيم الأعمال وتوزيعها في شكل واجبات رسمية محددة على الوظائف؛ حيث يتم تنظيم العلاقات والسلطات بينها بأسلوب هرمي لتحقيق أكبر قدر من الكفاية الإدارية لانجاز أهداف التنظيم".

ثانياً: مفاهيم ذات صلة بالبيروقراطية:

إن مفهوم البيروقراطية كثيراً ما يُعرف بمفاهيم تكاد تكون مرادفة له ومنها:

- السلطة: وهي الحق المشروع في اتخاذ القرارات والاجراءات وإصدار الأوامر والتوجيهات للمرؤوسين للقيام بواجباتهم.

- النفوذ: هو القدرة على التأثير في إدارة سلوك الآخرين دون اللجوء إلى القوة.

-الشرعية التنظيمية: وهي أن يمارس الحاكم القوة باعتبارها حقاً مشروعاً له؛ كما يعتقد الأفراد أن من واجبه طاعة الحاكم والامتثال لأوامره.

- الترشيد: هو أسلوب يحدد شكل النشاط الاقتصادي للسلطة البيروقراطية لفهم آثار التقدم الفني والعلمي وإنعكاساته على الهيكل النظامي للمجتمعات.

- تدعيم البيروقراطية:

هو البحث عن أضل الطرق للأداء.

- السيطرة: هي القدرة على التحكم في الآخرين بطريقة آلية، وذلك باستعمال أدوات مختلفة كالقهر والتعسف.

ثالثاً: عوامل نشوء النظرية البيروقراطية عند فيبر:

إن من أهم العوامل التي ساعدت على نشوء النظرية البيروقراطية عند فيبر مايلي:

- 1 - وجود نظام نقدي متطور يمكّن الدولة من دفع الأجور والرواتب نقداً للموظفين
- 2 - وجود نظام ضريبي يسمح للدول بالحصول على دخل ثابت.
- 3 - ظهور تنظيمات ضخمة ومعقدة؛ مما أدى إلى زيادة حجم العمل والأعباء الواجب إنجازها.

رابعاً: التعريف بفيبر وأهم أفكاره:

تعتبر أعمال ماكس فيبر في الحقل السوسيولوجي مميزة وفريدة؛ وخاصة تصوره لمفهوم البيروقراطية وتحليله كظاهرة إجتماعية تصاحب المجتمعات الحديثة، فالبيروقراطية تنسب إليه كأول نظرية علمية واضحة المعالم تختص بدراسة التنظيمات.

فماكس فيبر عالم اجتماع ألماني ولد عام 1864 بـ: إرفورت ERFURT تلقى تكوينه القاعدي في القانون؛ غير أنه أصبح أستاذ في الاقتصاد السياسي وهذا بعد متابعة دراسته في جامعة برلين، وتوفي عام 1920. درس فيبر في عدة جامعات ألمانية، كما انتقل إلى الولايات المتحدة للقاء المحاضرات والمساهمة في بناء علم الاجتماع؛ ويعتبر من رواد سوسيولوجيا الفهم التي تبحث في فهم الواقع الاجتماعي عبر إختراق وتفسير المعاني التي يعطيها الأفراد لأفعالهم. وله مؤلفات أهمها:

- كتاب عن الرأسمالية والبروتستانتية وآخر الاقتصاد والمجتمع الذي صدر بعد سنتين من وفاته وكان بمثابة حوصلة محورية لأفكاره وخاصة تحليله لدور القائد داخل التنظيم، ووقوفه على الأشكال المختلفة التي يتصرف بها الأفراد نحو السلطة.

خامسا: نماذج السلطة عند فيبر:

لقد اهتم فيبر بالطريقة التي تمارس بها السلطة داخل التنظيمات؛ والكيفية التي تتم بها عملية فرض السيطرة مما يجعلها سلطة شرعية يعترف بها الجميع؛ ويميز بين أنماط ثلاثة وهي:

- السلطة الكاريزمية: هي سلطة تقوم على الاعتقاد في الصفات الاستثنائية للقائد والتي تجعل منه شخصا ملهما، ومصدر الشرعية هو الاعتقاد بقدسية الصفات التي يتميز بها دون الأتباع، والتنظيم في هذه الحالة يتسم بعدم الاستقرار ويسير من قبل قلة من الأفراد المقربين له والذين يقومون بدور الوسيط مع الجمهور.

- السلطة التقليدية: إن هذا النمط من السيطرة يكون خضوع الأفراد للقائد قائما على أساس العلاقة الشخصية، أي القائد يصدر أوامره بناء على مكانته الوراثية – ملكي أو مشيخي أو إقطاعي-، حيث أن طاعة الأفراد له تكون نابعة من تقديرهم للمكانة التقليدية له، فهذه السلطة تقوم على قداسة العرف والتقاليد والنظام ثابت غير قابل للتغيير أو التمرد.

- السلطة القانونية: هي قوة ترتكز على نظام للأهداف والوظائف بشكل عقلاني؛ يهدف إلى تعظيم الربح والذي يتم العمل من أجله وفق قواعد وإجراءات قانونية. والقواعد التي يستند إليها ممارس السلطة تحدد بوضوح الحقوق والواجبات أو المسؤوليات لكل من الرئيس والمرؤوس، فمصدر الامتثال هو القانون وليس طاعة الأشخاص. والتنظيم الإداري المطبق لهذا النوع من السلطة يطلق عليه اسم التنظيم البيروقراطي.

وهذه النماذج الثلاث وفق فيبر هي؛ نماذج مثالية وتبقى مجرد بناءات نظرية تهدف إلى إجراء مقارنات مع الواقع الملاحظ وتحليل الفروقات الموجودة.

سادسا : آليات فاعلية السلطة عند فيبر:

إن ممارسة السيطرة أو السلطة على الأفراد بالطريقة الرسمية تخضع لشروط حددها فيبر في مجمل أفكاره

وهي:

- يتم إقرار السلطة إما بالاتفاق أو بالقوة، وتحمل السلطة معها حق الطاعة.
- يحتوي كل قانون نظاما من القواعد المجردة، التي يتم تطبيقها لضمان تحقيق مصالح معينة في التنظيم.
- الشخص الذي يشغل وظيفة ما في التنظيم؛ يمتلك سلطة محددة. وله الحق في إعطاء الأوامر للمرؤوسين، وعليه في نفس الوقت واجب طاعة الأوامر الصادرة من رؤسائه.
- إن شاغل الوظيفة يطيع الأوامر انطلاقا من كونه عضو في التنظيم، وأن ما يطيعه هو القانون والطاعة ليست مسألة شخصية.
- إن هذه الأفكار التي تحدد طبيعة التصرفات الرسمية أعطت النظرية الكلاسيكية والنموذج البيروقراطي ميزة خاصة.

سابعا: النظرية البيروقراطية عند فيبر:

إن الضرورة المتعلقة بإدارة الأشخاص كما الأشياء تقتضي تبني البيروقراطية كنمط في التسيير؛ وأن شرعية النمط البيروقراطي في التسيير ناجمة على قناعة أن الإجراءات والحقوق والواجبات تركز على مجموعة من المبادئ المتفق عليها من قبل أعضاء التنظيم؛ ثم أن السلطة في التنظيم البيروقراطي مرتبطة بوظيفة معينة مما يجعلها تتميز بطابع غير شخصي لتفادي الأزمات المتعلقة بالخلافة على السلطة، والمبادئ التي يقوم عليها التنظيم البيروقراطي تتلخص في النقاط التالية:

- 1- التخصص: ضرورة تقسيم العمل في كل نشاط إلى أنشطة فرعية بناء على التخصص؛ ويتم تحديد الوظائف بصورة رسمية بموجب قواعد ثابتة متماشية مع النموذج الرشيد وحسب حاجة التنظيم البيروقراطي.
- 2- التدرج الهرمي للسلطة: يتم ترتيب الوظائف من أعلى الهرم التنظيمي إلى أسفله؛ بحيث ترتبط الوظيفة الأقل في المستوى بالوظيفة الأعلى منها على شكل تسلسل هرمي يضمن الإشراف والسيطرة بصورة متوازنة.
- 3- قواعد لممارسة الوظائف: ضرورة تحديد الكفاءات الخاصة بكل وظيفة؛ وتحديد السلطة اللازمة للقيام بالواجبات.
- 4- التدريب الرسمي: يعتبر التدريب الرسمي أحد الشروط الأساسية للتعيين في الوظيفة من أجل تمكين الموظف من القيام بتطبيق القواعد التي تنظم سير العمل وأداء الواجبات المكلف بها.

5- اللاشخصية في العلاقات الوظيفية: يتضمن هذا المبدأ فصل ملكية التنظيم عن إدارتها ؛ ولا يجوز أن تكون وسائل الإنتاج مملوكة من قبل إدارة التنظيم، وهذا المبدأ يساعد محاسبة المدراء عن أعمالهم؛ كذلك لا يمكن أن تكون الوظيفة ملكا لشاغلها.

6- نظام الإجراءات: اعتماد المستندات والوثائق في إدارة التنظيم والاحتفاظ بها ويتطلب ذلك تسجيل وكتابة كافة التصرفات والإجراءات بصورة رسمية.

إن ما يلاحظ على مبادئ التنظيم البيروقراطي أنها تبحث عن طريقة مثلى لجعل السلوك الإنساني قابلا للتوقع.

ثامنا: مزايا وعيوب التنظيم البيروقراطي:

تتميز البيروقراطية كنمط تسييري بمزايا عدة أهمها:

- الدقة، السرعة، الوضوح، الخضوع الكامل للرؤساء، تخفيض التكلفة الإنسانية والاقتصادية للعمل، تخفيض الاحتكاك بين الأفراد، المعرفة الكاملة بالمستندات ، الاستمرار والوحدة

فرغم هذه المزايا إلا أن النموذج تعرض لانتقادات شديدة من أصحاب المدارس والنظريات التنظيمية ومنها:

- 1 - أن النموذج البيروقراطي ينظر للإنسان نظرة آلية ولا وجود للمعنويات والقناعات والانفعالات الشخصية.
- 2 - من الصعوبة على الأفراد أن يطورون ويغيرون من سلوكياتهم وتصرفاتهم لكي يتلاءمون مع متطلبات الوظيفة وقواعد المنظمة بصفة مثالية
- 3 - يفترض التنظيم البيروقراطي عدم تأثير البيئة على المنظمة، أي أن المنظمة تعيش في بيئة جامدة.
- 4 - المنظمة تعيش في بيئة مغلقة.
- 5 - التنظيم الرسمي هو التنظيم الشرعي الوحيد وليس هناك تأثير للتنظيم غير الرسمي، وعلى الصعيد العملي فهذه الفكرة غير واقعية بسبب ظهور التصرفات غير الرسمية داخل المنظمة دائما. بالإضافة إلى ذلك فالوسائل تصبح غايات

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...